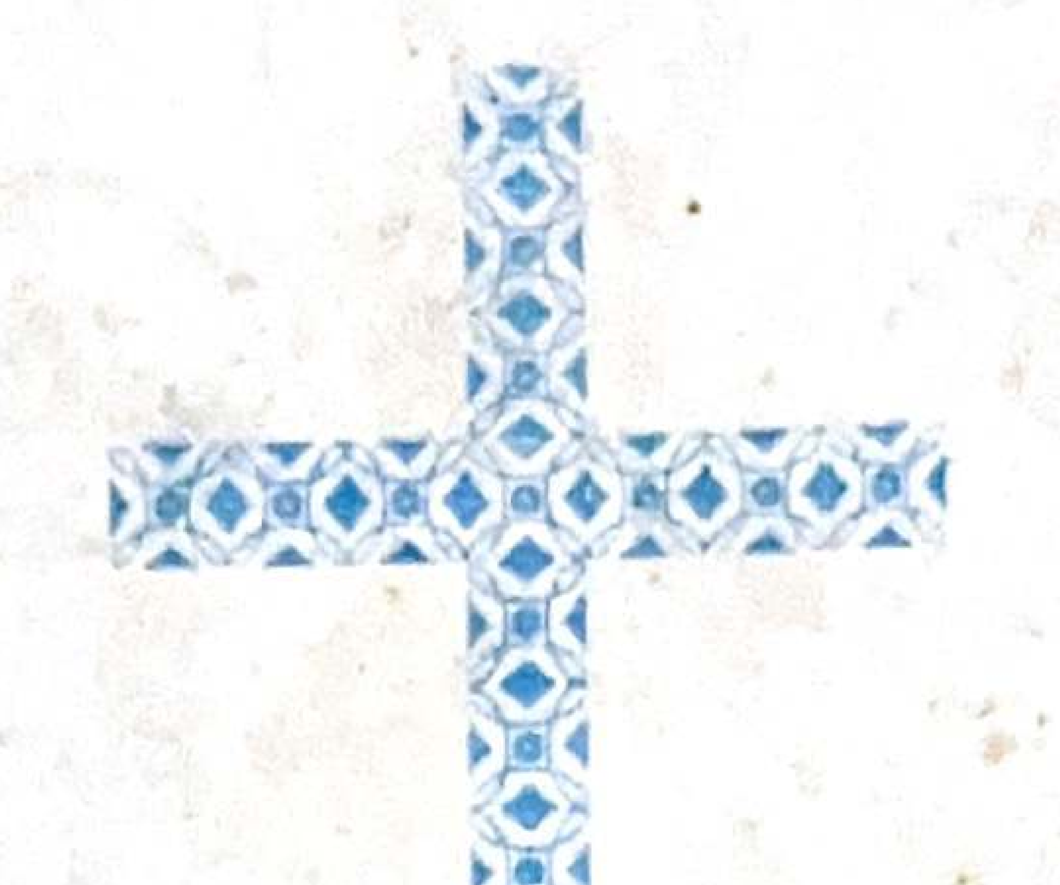
دراسات فى الكتاب المقدس



المزمور ١٥١

ورمز الخلاص



كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل
بالظاهر



حضرة صاحب القداسة والغبطة

الأنبا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

الاهـــداء :

- الى روح أخى شهيد المحبـة والاخوة والتضحية ..
- الى روح شقيقى الذى قادنى الى معرفة طريق الله ..
- الى روح الشماس الذى رسم لى طريق خدمة الكنيسة ..
- الى روح من ألهمنى بهذا الكتاب من خلال نشيده مع الملائكة والأبرار ..
- الى روح أخى وشقيقى الشماس د/ لبيب عبد النور ..

أهـــدى كتـــابى ؟

المؤلف

مقـــدمة

ليس لهذا المزمور (١٥١) وجود فى معظم الطبعات المتداولة بين أيد ينا (الطبعات البروتستانتية) ولكنه موجود فى الترجمات السريانية والسبعينية والحبشية والفاتيكانية والقبطية ·

وقد اعترفت جميع الترجمات السابقة بقانونية هذا المزمور وقد عثر عليه مع باقى المائة والخمسين مزمورا الآخرين ضمن مخطوطات البحر الميت فى منطقة قمران بالأردن فى الكهف رقم ١١ من بين أربعين كهفا وجدت فيها مخطوطات أخرى وجميعها مكتوبة بالخط العبرى المربع على رقوق من جلد الماعز طول الواحد منها أربعة أمتار وعرضه سبعة وعشرون سنتيمترا - وأمكن تقدير عمر هذه المخطوطات باستخدام الكربون المشع فحدد عمرها بحوالى ثلاثة وثلاثين عاما بعد الميلاد ·

ويوجد نص هذا المزمور فى جميع الترجمات القبطية المخطوطة منها والمطبوعة فهو مدون فى كتاب « زبور داود النبى والملك مع التسابيح » ص ٣١٧ الذى قام بطبعه ونشره عن مخطوطات قبطية قديمة المتنيح الانبا مكاريوس مطران أسيوط والمرحوم اقلاديوس بك لبيب ·

وقد استشهد بهذا المزمور كثير من آباء الكنيسة وأعلامها مثل القديس اثناسيوس الرسولى حامى الايمان والقديس يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية - كما تقرأه الكنيسة القبطية منذ قرون

كثيرة فى فجر سبت الفرح وقد جاء فى كتاب كنوز النعمة أن هـذا المزمور كتبه داود عن نفسه عندما كان يحارب جليات الفلسطينى .

ويحكى هذا المزمور بدقة وتدرج قصة اختبار عاشه داود عندما كان حدثا صغيرا يعمل فى رعى أغنام أبيه وكيف انتصر - وهـو الأعزل من كل سلاح ظاهرى - على غريمه جليات الذى أتقن فنون القتال منذ نعومة أظافره - ومن خلال اختباره هذا كشف النقاب عن لا نهائية قوة الله بشرط التسليم الكامل بوجود هذه القوة وعدم اخضاعها للموازين البشرية .

وان كان هذا المزمور يشير عن قرب الى قصة اختبار عاشـه داود فانه يشير عن بعد الى أحد أبعاد عملية الخلاص التى دبرت منذ الأزل فى شـكل « الحمل المذبوح منذ انشاء العالم » (رؤ ١٣ : ٨) والتى اتخذت عبر الزمان خطوات وأشـكال متنوعة تقاسـم الانباء عنها أنبياء العهد القديم فى شـكل نبوات تارة وفى شكل رموز تارة أخرى وعلى سبيل المثال فقد أشـار أشعياء الى مولد المخلص « يولد لنا ولد » ويشير داود الى موته على الصليب « الرب قد ملك على خشبة » كما كان فى قصة يونان النبى اشـارة ألى بقاء المخلص فى القبر ثلاثة أيام ثم يشير هو شع النبى الى قيامته « يحيينا بعـد يومين ، فى اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه » (٦ : ٢) .

وهكذا نرى فى هذا المزمور كيف يجسم داود عملية النصـرة على الشـيطان فى شـكل حرب بينه وبين جليات (الذى يشير الذى الشيطان) والتى انتهت بأن قطع داود رأس جليات فكأن داود قد أشـار بطريقة نبوية كيف أن نسـل المرأة سيسحق رأس الحية .

ولذلك رتبت كنيستنا قراءة هذا المزمور مرة كل عام فى سـحر (فجر) يوم السبت الكبير - سبت الفرح - كاشارة قوية الى بدء دلائل انتصـار السيد المسـيح (ابن داود) على الشيطان فى فجر اليوم التالى يوم الأحد (عيد القيامة المجيد) .

فلنضرع الى الله أن ينعم علينا بسر قوة هذا المزمور باعتباره اختبارا معاشا يكشف لنـا عن يقينية قوة الله .

ولالهنـا المجد والسجود الدائم الى أبد الآباد آمين .

المؤلف

جـورج عبد النـور

نص المزمور ١٥١

١ ـ انا صغيرا كنت فى اخوتى وحدثا فى بيت ابى راعيا غنم أبى ،

٢ ـ يداى صنعتا الأرغن وأصابعى ألفت المزمار ،

٣ ـ من هو الذى يخبر سيدى هو الرب الذى يستجيب للذين يصرخون اليه ،

٤ ـ هو ارسل ملاكه واخذنى من غنم ابى ومسحنى بدهن مسحته ،

٥ ـ اخوتى حسان وهم أكبر منى والرب لم يسر بهم ،

٦ ـ خرجت للقاء الفلسطينى (غريب القبيلة) فلعننى بأوثانه ،

٧ ـ ولكن انا سللت سيفه الذى كان بيده وقطعت راسه ٠

٨ ـ ونزعت العار عن اسرائيل ـ هليلويا ٠

✠ ✠ ✠

عند نهاية قراءة مزامير داود النبى الى آخر المزمور المائة والخمسون يلبس كبير الكهنة بدلة وباقى الكهنة أيضاً وتوقد الشموع ثم يبتدىء كبير الكهنة ويكشف رأسه ويقرأ المزمور المائة الواحد والخمسين قبطياً وعربياً ووجهه للشرق وهو يقول ⲁ̅ⲗ̅ بلحنها المعروف:

Ⲁⲛⲟⲕ ⲡⲉ ⲡⲓⲕⲟⲩϫⲓ ⲛ̀ϧⲣⲏⲓ ϧⲉⲛ ⲛⲁ̀ⲥⲛⲏⲟⲩ : ⲟⲩⲟϩ ⲛ̀ⲁⲗⲟⲩ ϧⲉⲛ ⲡ̀ⲏⲓ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲁⲓⲱⲧ : ⲛⲁⲓ ⲁ̀ⲙⲟⲛⲓ ⲛ̀ⲛⲓⲉ̀ⲥⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲁⲓⲱⲧ	أنا صغيراً كنت فى اخوتى وحدثاً فى بيت أبى كنت راعياً غنم أبى
Ⲛⲁϫⲓϫ ⲁⲩⲑⲁⲙⲓⲟ ⲛ̀ⲟⲩⲟⲣⲅⲁⲛⲟⲛ : ⲟⲩⲟϩ ⲛⲁⲧⲏⲃ ⲁⲩϩⲱⲧⲡ ⲛ̀ⲟⲩⲯⲁⲗⲧⲏⲣⲓⲟⲛ ⲁ̅ⲗ̅	يداى صنعت الارغن وأصابعى الفت المزمار الليلوباه

Ⲟⲩⲟϩ ⲛⲓⲙ ⲡⲉⲑⲛⲁ-	من هو
ⲱ̀ⲧⲁⲙⲉ Ⲡ⳪ : ⲛ̀ⲑⲟϥ	الذى يخبر سيدى
ⲡⲉ Ⲡ⳪ : ⲛ̀ⲑⲟϥ ϣⲁϥ-	هو الرب الذى
ⲥⲱⲧⲉⲙ ⲉ̀ⲟⲩⲟⲛ ⲛⲓⲃⲉⲛ	يستجيب للذين
ⲉⲧⲱϣ ⲉ̀ϩⲣⲏⲓ ⲟⲩⲃⲏϥ	يصرخون إليه
Ⲛ̀ⲑⲟϥ ⲁϥⲟⲩⲱⲣⲡ ⲙ̀-	هو أرسل
ⲡⲉϥ ⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲟⲩⲟϩ	ملاكه وحلنى
ⲁϥⲟⲗⲧ ⲉ̀ⲃⲟⲗϧⲉⲛ ⲛⲓⲉ̀-	من غنم
ⲥⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲁⲓⲱⲧ: ⲟⲩⲟϩ	أبى ومسحنى
ⲁϥⲑⲁϩⲥⲧ ϧⲉⲛ ⲫ̀ⲛⲉϩ ⲛ̀-	بدهن مسحته
ⲧⲉ ⲡⲉϥⲑⲱϩⲥ ⲁ̅ⲗ̅	الليلوياه
Ⲛⲁⲥⲛⲏⲟⲩ ⲛⲁⲛⲉⲩ	اخوتى حسان
ⲟⲩⲟϩ ϩⲁⲛⲛⲓϣϯ ⲛⲉ	وهم اكبر منى
ⲟⲩⲟϩ ⲙ̀ⲡⲉϥϯⲙⲁϯ ⲛ̀-	والرب لم يسر
ϧⲏⲧⲟⲩ ⲛ̀ϫⲉ Ⲡ⳪	بهم.
Ⲁⲓⲓ̀ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲉ̀ϩⲣⲉⲛ	خرجت
ⲛⲓⲁⲗⲗⲟⲫⲩⲗⲟⲥ: ⲁϥⲥⲁ-	للقاء الفلسطينى
ϩⲟⲩⲓ̀ ⲉ̀ⲣⲟⲓ ϧⲉⲛ ⲛⲉϥ-	فلعننى
ⲓ̀ⲇⲱⲗⲟⲛ	باوثانه

Ⲁⲛⲟⲕ ⲇⲉ ⲁⲓⲑⲱⲕⲉⲙ	لكن انا سللت
ⲛ̀ⲧⲉϥⲥⲏϥⲓ ⲉⲧⲭⲏ ⲛ̀-	سيفه الذى كان
ⲧⲟⲧϥ ⲁⲓϣⲗⲓ ⲛ̀ⲧⲉϥⲁ̀ⲫⲉ	بيده وقطعت رأسه
Ⲟⲩⲟϩ ⲁⲓϣⲗⲓ ⲙ̀ⲡⲟⲩ-	ونزعت العار عن
ϭⲓϣⲓⲡⲓ ⲉ̀ⲃⲟⲗϧⲉⲛ ⲛⲉⲛ-	بنى اسرائيل
ϣⲏⲣⲓ ⲙ̀Ⲡⲓⲥ̅ⲗ̅ ⲁ̅ⲗ̅	الليلوياه

وفى اثناء قراءة تفسير المزمور عربياً يلف سفر المزامير فى ستر حرير ابيض ويحمله كبير الكهنة ويقف به عند باب الهيكل وتوقد الشموع وعند نهاية تفسير المزمور يرتل الكهنة والشمامسة بالنواقيس قائلين : Ⲙⲁⲣⲉⲛ ⲟⲩⲱⲛϩ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲉ̀Ⲡⲭ̅ⲥ̅ ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ الخ باللحن المعروف بها ، وهم طائفون البيعة إلى ان ينتهوا إلى مكان قراءة التسابيح كل بيعة كعادتها . وتجلس الكهنة صفين كطقوسهم وكذلك الشمامسة صف بإزاء صف وبينهم الشموع موقدة على الحسك (المنابر او المغارس) ويصعد كبير الكهنة بقراءة تسبحة موسى النبى الأول قبطياً وعربياً وهم جالسين وهى : Ⲧⲟⲧⲉ ⲁϥϩⲱⲥ ⲛ̀ϫⲉ

This Psalm is a genuine one of David, though supernumerary, **compoud** when he fought in single combat with (Goliad).

I was small among my brethren, and youngest in my father's house : I tended my father's sheep. My hands formed a musical instrument, and my fingers tuned a psaltery. (3) And who shall tell my Lord ? the Lord himself, he himself hears. (4) He sent forth his angel, and took me from my father's sheep, and he anointed me with the oil of his anointing (5) My brothers were handsome and tall ; but the Lord did not take pleasure in them. (6) I went forth to meet the Philistine ; and he cursed me by his idols. (7) But I drew his own sword, and beheaded him, and removed reproach from the children of **Israel.**

الفصل الأول

١ ـ أنا صغيرا كنت فى اخوتى ، وحدنا فى بيت ابى ، راعيا غنم أبى .

يعكس هذا المزمور بكلماته الأولى « صغيرا ، وحدثا ، وراعيا »، وصفا دقيقا لفترة زمنية من حياة داود ، هذه الفترة تندمج فى تاريخ بنى اسرائيل الطويل محدثة نقطة تحول فى تاريخ ذلك الشعب مما سيكون لها نتائج بالغة الأهمية ، بعيدة المدى تصل الى ما بعد ثمانية وعشرين جيلا مشيرة الى ذلك الذى سيجلس على « كرسى داود أبيه ولا يكون لملكه نهاية » (لو ١ : ٣٢) .

وفى الوقت الذى كان فيه داود « صغيرا ، وحدثا ، وراعيا » كانت هناك فى نفس الوقت شخصيات أخرى تكبره سنا ومقاما هى :ـ

(أ) اخوة داود السبعة وكانوا اكبر منه سنا وهم الياب « وأبينا داب ، وشمعى ونثنئيل ورداى وأوصم ، أما السابع فكان قد مات بعد أحداث هذا المزمور بقليل فلم يذكر الكتاب اسمه (١ اى ٢ : ١٢) .

(ب) يسى البيتلحمى والد داود وكان شيخا متقدما فى أيامه « وكان الرجل (يسى) فى أيام شاول قد شاخ وكبر بين الناس » (١ صم ١٧ : ١٢) .

(جـ) صموئيل النبى ـ ملاك الرب ونبيه وآخر قضاة بنى اسرائيل .

(د) شاول بن قيس أول ملك لاسرائيل .

(هـ) جليات الجبار ـ معير شعب بنى اسرائيل ـ وهو فلسطينى من بلدة جت طوله ستة أذرع وشبر .

وتشير الكلمات « صغيرا ، وحدثا ، وراعيا » الى صفة من الصفات المميزة لشخصية داود وهى صفة التواضع وانكار الذات وعلى الأخص اذا قورنت بالوصف الذى أعطاه هو لاخوته فى نفس المزمور « اخوتى حسان وهم أكبر منى » ـ هذه الصفة قد لازمت داود فى أكثر مراحل حياته فنراه يخاطب شاول الملك قائلا : ـ

« فقال داود لشاول كان **عبدك** يرعى غنما لأبيه » (١ صم ١٧ : ٣٤)

« فقال داود ابن **عبدك** يسى البيتلحمى » (١ صم ١٧ : ٥٨)

« وراء من أنت مطارد،وراء **كلب ميت** » (١ صم ٢٤ : ١٤)

« فقال داود انه صوتى **يا سيدى الملك** » (١ صم ٢٦ : ١٧)

وكما برزت هذه الصفة فى حديث داود مع الناس نراها أيضا أكثر وضوحا فى مزاميره خلال حديثه التذللى مع الله ، وعلى سبيل المثال :

« قضاء الرب حق وفى كل شىء عادل ... وان **عبدك** يحفظها » (مز ١٨أو ١٠ : ٩ ـ ١١)

« من المتكبرين احفظ **عبدك** فلا يتسلطوا على » .
(مز ١٨أو ١٩ : ١٢)

« لا تحجب وجهك عنى ، لا تخيب بسخط **عبدك** » .
(مز ٢٧ : ٩)

« أما أنا **فمسكين وفقير اللهم اعنى** » . (٦٩أو ٧٠ : ٥)

وقد أراد الله منذ البدء أن يحصن الانسان ضد صفة الكبر والاستكبار وأن يجعل التواضع يدخل فى تكوين شخصيته لذلك أعطى الله الانسان الأول السلطان أن يعطى مسميات الأشياء التى على الأرض فقط « وجبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى **ماذا يدعوها** » (تك٢:١٩) ولكن الله لم يسمح للانسان أن يعطى أسماء للأجرام السماوية والكواكب لئلا يتطلع الى فوق فيظن نفسه شيئا فينتفخ ويستكبر . ولذلك احتفظ الله بهذا السلطان لنفسه ، لا استخفافا بالانسان ولكن حفاظا عليه من السقوط فى تلك الخطية المدمرة « المحصى كثرة الكواكب (الله) ولكافتها يعطى أسماء » . (مز ١٤٦أو ١٤٧ : ٤)

وقد أراد السيد المسيح أن يثبت هذه الصفة فى الانسان الجديد عمليا فقام « عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها ... وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها » (يو ١٣ : ٤ ـ ٥) . وطلب من تلاميذه أن يزاولوا هذا العمل لا باعتباره عملا من حيث الشكل والظاهر ولكن لتثبيت خصلة التواضع فى ذواتهم « فان كنت أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض » (يو ١٣ : ١٤)

وقد وضحت هذه الصفة فى تلاميذ السيد المسيح ورسله وافتخروا بها ومارسوها كعامل لانجاح كرازتهم بين الشعوب الوثنية غير المؤمنة ذات الثقافة العالية وعلى سبيل المثال :

« الرسول بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح » . (١ تيط ١ : ١)

« بولس وتيموثاوس عبدا يسوع المسيح » (فى ١ : ١)

« يهوذا عبد يسوع المسيح » . (يه ١ : ١)

« وبينه موسلابيد ملاكه لعبده يوحنا » . (رؤ ١ : ١)

« وآخر الكل كانه للسقط ظهر لى أنا لأنى أصغر الرسل أنا الذى لست أهلا لأن أدعى رسولا » . (١ كو ١٥ : ٨ ـ ٩)

وكان لداود « الصغير والحدث والراعى » صفات ميزته عن غيره من الناس ، وقد أوضح الكتاب هذه الصفات بشكل واضح لا من قبيل المدح ، انما لما سيكون لهذه الصفات من آثار فى حياة داود وبالتالى فى تاريخ بنى اسرائيل كشعب مختار من الله .

لقد كان داود « أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر » (١ صم ١٦ : ١٢) وكان « يحسن الضرب (على الآلات الموسيقية) وهو جبار بأس ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه » (١ صم ١٦ : ١٨) كما كان لشخصيته رغم صغر سنه ثقل ووزن لدى الآخرين فقد قال شاول الملك ان داود « وجد نعمة فى عينى » (١صم ١٦ : ٢٢)

وتعطينا الكلمات حدثا فى « بيت أبى » ، وراعيا « غنم أبى » فكرة عن حياة داود خلال أحداث ها المزمور فقد كان يعيش فى كنف والده فى وحدة رباط قوى دون أن يكون له ملك خاص فكل شيء كان لأبيه ، وكان مطيعا لأبيه محبا لاخوته ويقوم بكل ما يوكل اليه

من أعمال علاوة على رعيه الأغنام « فقال يسى لداود ابنه خذ لاخوتك أيفة من هذا الفريك وهذه العشر خبزات واركض الى المحلة الى اخوتك » . (١ صم ١٧ : ١٧)

« أما داود فكان يذهب ويرجع من عند شاول ليرعى غنم أبيه فى بيت لحم » . (١ صم ١٧ : ١٥)

وما أكثر الشبه بين ما كان يقوم به داود نحو اخوته وبين ما كان يقوم به يوسف نحو اخوته أيضا « فقال (يعقوب) له (أى ليوسف) اذهب أنظر سلامة اخوتك وسلامة الغنم ورد لى خبرا » (تك ٣٧ : ١٤) ، وكلاهما ـ يوسف وداود ـ ابتدءا صغيرين وانتهيا عظيمين أمام الله والناس .

ومع كون داود صغيرا وحدثا ولكن ذلك لم يمنع أن يكون « الرب معه » ونلمس ذلك فى رده على جليات « أنا آتى اليك باسم رب الجنود » (صم ١٧ : ٤٥) ، وفى قول الله لصموائيل « تعال ارسلك الى يسى البيتلحمى لأنى قد رأيت لى فى بيته ملكا » (١صم ١٦ : ١) ، فنظرة الانسان الى الانسان تختلف عن نظرة الله للانسان لأن « الانسان ينظر الى العينين وأما الرب فانه ينظر الى القلب » (١ صم ١٦ : ٧) كما أن صغر سنه لم يمنع أن يكون « جبار بأس ورجل حرب » وستظهر هذه الصفة واضحة فى الحروب الصغيرة بينه وبين الملك شاول وفى الحروب التى خاضها بصفته ملك اسرائيل .

راعيا غنم أبى :

لم يستح داود أن يعلن على الملأ أنه كان يعمل راعيا لغنم أبيه وكانت رعاية الأغنام هى وظيفة بنى اسرائيل عندما وقفوا أمام فرعون فقد قالوا له « عبيدك رعاة أغنام » ، كما كان هابيل أول راعى غنم ظهر على الأرض « وكان هابيل راعيا للغنم » .

(تك ٤ : ٢)

بل لعلنا نلمس بين السطور اعتزازه وافتخاره بهذه المهنة التى صار داود معروفا بها ليس فى دائرة الأقارب والجيرة والرفقة فقط بل بين اناس من مستويات مختلفة .

(أ) فقد ذهب مرة بتكليف من والده ليفتقد اخوته الذين كانوا فى جيش شاول وهناك سمع تعييرات جاليات الفلسطينى لشعب الله فأخذ يسأل بين صفوف الجيش عن المكافأة التى تعطى لمن يقتل ذلك الفلسطينى فلما سمعه أخوه الياب حمى غضبه وقال له « على من تركت **تلك الغنيمات القليلة فى البرية** » (١ صم ١٧ : ٢٨) . وبذلك عرفت مهنة داود بين صفوف المحاربين من بنى اسرائيل .

(ب) ووصل العلم بمهنة داود الى الملك شاول نفسه ، فعندما أظهر داود استعداده لملاقاة معير شعب الله استدعاه الملك ، وأمامه أعلن داود مهنته بكل اعتزاز « كان عبدك يرعى لأبيه غنما » . (١ صم ١٧ : ٣٤)

(جـ) وأصر داود على أن يعلن مهنته على الملأ بين الوف المحاربين من بنى اسرائيل والوف المحاربين من

الفلسطينيين فقد نزل الى ميدان المبارزة حاملا « **عصاه** بيده ، وانتخب له خمسة حجارة ملس من الوادى وجعلها **فى كنف (حقيبة) الرعاة** الذى له ... **ومقلاعه بيده** » (١ صم ١٧ : ٤٠) ، وعن طريق هذه الأشياء عرف الجميع من فسلطينيين واسرائيليين أن ذلك المبارز الاسرائيلى الصغير ما هو الا راعيا للغنم .

(د) وبعد أن انتصر داود على جليات عرف على مستوى الشعب والشعوب المجاورة أن الذى قتل ذلك الفلسطينى الجبار لم يكن الا ذلك الصغير الذى يعمل راعيا للأغنام .

ومما لا شك فيه أن اختيار داود لهذه المهنة وفى منطقة بيت لحم بالذات كان بتدبير سمائى تمهيدا لأمور كثيرة آتية ، حاملا شرف هذه المهنة عبر أجيال قادمة حتى يسلمها لمن قال عن نفسه « **أنا هو** الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » .

(يو ١٠ : ١١)

وقد هيأت هذه المهنة لداود أن يتعلم أمورا عديدة : ـ

١ ـ أن يتعلم :

فن الرعى والرعاية : فقد كان داود محبا لأغنامه مخلصا لها ، فكان الى المراعى الخضر يربضها والى مياه الراحة يوردها ، وكان متعلقا بها لا يستطيع البعد عنها فكان « يذهب ويرجع من عند شاول ليرعى غنم أبيه فى بيت لحم » (١ صم ١٧ : ١٥) ، وهكذا كانت العلاقة بين داود وأغنامه علاقة حب ، هذا الحب كان يدفعه أن يعمل

كل ما فى وسعه لراحة أغنامه « كراع يرعى قطيعه ، بذراعه يجمع الحملان ، وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات »: (ا ش ٤٠ : ١١)

ان مهنة رعى الأغنام التى زاولها داود منذ صباه أهلته أن يكون ملكا ناجحا وراعيا لشعب بنى اسرائيل ومخلصا له من كل اعدائه المحيطين به ـ هذا التدرج المهنى التدبيرى اقره السيد المسيح فقد انتخب تلاميذه من فئة صائدى الأسماك ليكونوا فيما بعد صيادين للناس .

ولا يخفى أن مهنة الرعى كانت تستلزم من الراعى أن يكون ملما بتقلبات الجو وجغرافية المكان حتى اذا ما هبت العواصف وهطلت الأمطار يعرف كيف يحمى الأغنام من الأخطار .

٢ ـ وتعلم أيضا :

السهر حفاظا على أغنامه ، والتضحية دفاعا عنها : فالراعى الأصيل الذى ليس بأجير يختار لنفسه المكان الذى يستطيع منه الاشراف على القطيع كله فهو يحس بكل حركة ويفهم معنى كل منها، فعيناه لا تكفان عن التحديق سواء فى النهار أو فى الظلام أو فى ضوء القمر والنجوم ، وأذناه نشطتان للتمييز بين مختلف الأصوات، حتى اذا ما أحس بخطر يتهدد القطيع اندفع كالسهم باذلا كل شىء حتى نفسه دفاعا عن أغنامه .

ويذكر الكتاب أن أغنام داود قد تعرضت مرة للخطر اذ هاجمها دب وأسد وقد وصف داود هذه المعركة لشاول الملك قائلا « كان عبدك يرعى لأبيه غنما فجاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع

فخرجت وراءه وقتلته وأنقذتها من فيه ولما قام على امسكته من ذقنه وضربته وقتلته ، قتل عبدك الأسد والدب جميعا » .

(١ صم ١٧ : ٣٤ ـ ٣٦)

ويفهم من قول داود أنه دخل معركة غير متكافئة مع حيوانين مفترسين فقد كان داود فى ذلك الوقت فتى صغيرا لا يحمل سيفا أو رمحا ولكن كان هناك سلاح من نوع آخر مخبأ فى قلبه أقوى من كل سيف ذى حدين ، انه قوة الله التى انغرست فى قلبه منذ الطفولة والتى أشار اليها السفر بقوله « جبار باس ورجل حرب **والرب معه** »

(١ صم ١٦ : ١٨)

ودخل داود المعركة التى لم تكن بالبساطة التى صورتها كلماته ويمكن تصويرها من خلال كلمات داود بالآتى : ـ

فوجىء داود بحيوانين مفترسين يتصفان بسرعة الجرى سواء فى الأرض المنبسطة أو الأرض الجبلية أحدهما أسد والآخر دب وفى فترة وجيزة كان الأسد قد أنشب أنيابه فى شاة من القطيع ، فالأمر لا يستلزم أكثر من لحظات معدودات حتى تكون أنياب الأسد قد أجهزت على الشاة المسكينة ، ومن المؤكد أن داود قد سمع صراخ الشاة فتمزق قلبه ولم يعد أمامه الا جزءا من اللحظة للقيام بعملية انقاذ سريعة ، فالظرف يحتم عليه الشجاعة مع التضحية مع سرعة الخاطر وحسن التصرف لذلك اندفع داود نحو فك الأسد يحطمها بحكمة كى ينقذ الشاة سليمة من بينها ، ولابد أن الحيوان الثانى الذى كان يحمى ظهر الحيوان الأول قد اندفع نحو داود من الخلف يهاجمه للاجهاز عليه حتى يتمكن الأسد من الفرار بالغنيمة ومع ذلك

فقد كان السلاح المخبأ فى قلب داود أقوى من الحيوانين المفترسين معا لذلك انتهت المعركة بانتصار داود اذ قتل الحيوان الأول ثم استدار الى الثانى وأجهز عليه ·

وان كانت المعركة قد انتهت بانتصار داود فهناك أمور يجب التركيز عليها :-

اولا - كان على داود أن يستعمل كل حكمته لاخراج الشاة سليمة من بين أنياب الأسد ولم يكن هذا بالأمر الهين لوجود حركة مقاومة قوية من الحيوان ، كما أن الجراح التى أصابت الشاة قد استلزمت من داود عناية كبيرة ·

ثانيا - من المؤكد أن القطيع قد أصابه الذعر عندما رأى راعيه وحاميه فى معركة مع الحيوانين المفترسين فشرد وتشتت فى أنحاء مختلفة بين تلال بيت لحم وهذا يتفق تماما مع قول السيد المسيح « أنى أضرب الراعى فتتبدد الخراف » (مر ١٤ : ٢٧) · وقد استلزم هذا الأمر من داود مجهودا ليعيد شمل القطيع ويدخل الطمانينة الى نفسه ·

ثالثا - ان دخول داود المعركة مع الحيوانين المفترسين لم يكن بدافع الخوف من أبيه ، أو خشية اللوم من اخوته أو توقع الاستخفاف به من الجيرة والأصدقاء ولكن بالدافع الذى تمليه عليه مهنته باعتباره الراعى المخلص لأغنامه والمتفانى فى حبها فهو ليس بالأجير الذى اذا ما رأى الذئب مقبلا فانه « يترك الخراف ويهرب فيخطف الذئب الخراف ويبددها » (يو ١٠ : ١٢) · فهو

فى هذا يصدق عليه قول السيد المسيح « الراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف »
(يو ١٠ : ١١)

رابعا - لقد كانت هذه المعركة بتدبير الهى هادف ، فقد تعلم داود كيف ينتصر على الحيوان الضارى ، وليس مجرد الانتصار فقط ولكنه نصر لازمه انقاذ شاة من براثن موت محقق · هذه المعركة كانت هى السند القوى الذى قدمه داود لشاول الملك لينال دون غيره شرف مبارزة ذلك الفلسطينى الأغلف ، وفعلا دخل داود المعركة الثانية التى لم يكن أيضا متكافئة وانتصر ، وان كان فى المعركة الأولى قد أنقذ شاة من الموت فقد أنقذ فى الثانية شعبا بأسره من موت العار والتعيير ·

خامسا - من الواضح أن أنياب الحيوان الضارى قد أدمت جلد الشاة الضعيفة ، ومن المؤكد أيضا أن داود قد اثخنت الجراح مواضع مختلفة من جسده ، ومعنى ذلك أن دماء قد سالت من الراعى والرعية فوق تلال بيت لحم ، المكان الذى سيولد فيه الراعى الصالح راعى الرعاة الرب يسوع المسيح ، والذى سيبذل ذاته فداء لخرافه وسيكون من سماة هذا البذل جريان الدم كعلامة مميزة لمبدأ التضحية والحب ·

٣ - وتعلم كذلك :

كيف يستعمل المقلاع وهو سلاح بدائى مصنوع من حبل واحد ذى سمك واحد ما عدا منطقة وسط الحبل فهى عريضة (حوالى ١٠ سم) كى توضع الحصاة فيها وعند الاستعمال يمسك الطرفان

سويا بيد واحدة ثم توضع الحصاة من داخل الجزء العريض ويدار الحبل بشدة بحيث يكون مركز الدوران هو طرفا الحبل اللذان تمسك بهما احدى اليدين لتديرهما فى حركة دائرية – وفى أثناء الدوران يترك أحد الطرفين فينفرد الحبل وتنطلق الحصاة فى الاتجاه المطلوب ٠

ويحتاج المقلاع الى مهارة فائقة عند استعماله من حيث قوة ادارته دائريا ، ومن حيث اتجاه اليد واتجاه نفس الشخص الذى يستعمله ، ونستنتج من ذلك أن داود كان ماهرا جدا فى استعماله فقد كان المقلاع هو السلاح الوحيد الذى نزل به لمبارزة جليات الفلسطينى معير شعب الله ٠

٤ – تعلم كذلك :

كيف يستعمل العصا والعكاز ولكليهما فائدة تختلف عن الأخرى، فالراعى يستعمل العكاز – وهو عصا قصيرة – لمساعدته فى السير وتسلق المرتفعات والنزول منها كما تستعمل فى تأديب الشاة الشاردة أو المخالفة لتعليمات الراعى – أما العصا فهى أطول من العكاز وهى كعلم القيادة بالنسبة للراعى فهى فى يده اليمنى تنطق بوظيفة حاملها ويستعملها الراعى عادة فى توجيه القطيع وجهة معينة فهى لا تصلح للضرب لطولها ، كما يستغلها أحيانا فى اسقاط أوراق الشجر كطعام للقطيع أو فى اسقاط أثمار الأشجار كطعام للراعى ٠

بهذه العصا – علم القيادة – عصا الرعاية ٠ نزل داود لملاقاة جليات الفلسطينى وانى أتخيلها كتلك العصا التى كانت بيد موسى

يملأوها السر وتكسوها القوة ، فبها استطاع موسى أن يفلق البحر الى نصفين ، وبها أعطت الصخرة ماء روى الأرض والناس ٠

هذه هى العصا والعكاز اللتان ترنم بهما داود – مرنم اسرائيل الحلو قائلا « عصاك وعكازك هما يعزياننى » ٠

٥ – تعلم كذلك :

كيف يستفيد من الطبيعة هائما فى جمالها يسمعها وهى تحدث بمجد الله ، ويتصنت همس الأفلاك وهى تزهو بجمالها مخبرة بصنعة يديه ، فمن خلال الحب – حبه لأغنامه – تعلم داود كيف يختلى – نهارا أو ليلا – بنفسه بين التلال سارحا ببصره فى مظاهر قوة الله وفى ذلك يقول « فى صنائع يديك كنت أتامل » ٠

(مز ١٤٢ و ١٤٣ : ٥)

وقد ترنم داود بجمال الطبيعة ومظاهرها فى كثير من مزاميره وعلى سبيل المثال :

« أرى السموات أعمال يديك ، القمر والنجوم أنت أسستها » ٠

(مز ٨ : ٣)

« السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه ٠٠٠ جعل للشمس مسكنا فيها (فى السموات) ٠ وهى مثل العروس الخارج من حجلته ٠٠ أقصى السموات خروجها ومدارها الى أقاصيها ولا شىء يختفى من حرها » (مز ١٨ أو ١٩ : ١ – ٦) ٠

« لا تضربك الشمس فى النهار ولا القمر بالليل » (مز ١٢٠ و ١٢١ : ٦) ٠

« الباسط السموات كشقة .. المؤسس الأرض على قواعدها .. المفجر عيونا فى الأودية بين الجبال تجرى .. صنع القمر للمواقيت ، الشمس تعرف مغربها .. » (مز ١٠٤ : ٢ – ٢٠) .

وقد أفاض داود وسبق العلماء فى ايضاح عوامل سـقوط الأمطار فقد شرح خطواتها بوضوح لا لبس فيه فيقول « فوق الجبال تقف الميـاه ، تصعد الى الجبال تنزل الى البقاع الى الموضع الذى أسسته لها » (مز ١٠٤ : ٦ : ٨) .

« المصعد السحاب من أقاصى الارض ، الصانع بروقا للمطر ، المخرج الريح من خزائنه » (مز ١٣٥ : ٧) .

فبذلك يشرح داود كيف تتحول المياه الى سحب تحملها الرياح الى قمم الجبال حيث الثلوج فتتحول الى قطرات مياه بمساعدة البروق ذات الشحنات الكهربائية فتنزل الأمطار وتتكون الأنهار .

ان الخلوات التى عاشها داود بين تلال بيت لحم خلال رعيه لأغنام أبيه أكسبته شفافية استمدها من جمال الطبيعة التى كان داود يرى فيها مظهرا من مظاهر قوة الخالق .

« أرى السموات أعمال يديك ، القمر والنجوم أنت أسستها » (مز ٨ : ٣) .

هـذه الشـفافية اخترقت أزمانا طويـلة آتيـة فكشفت لداود « المواعيد من بعيد » فصدقها وحياها فسجلها مزاميرا وألحانا ، فقد سجل حوادث الصلب مثلا منذ ليلة العشاء الأخير الى القيامة وما بعدها كأنه شاهد عيان فقد رأى كل شىء ملموسا واضحا أمام

عينيه ، وغير ذلك من النبوات لذلك لم يكن عجيبا أن يستشهد السيد المسيح أيضا على حقيقـة موته وقيـامته بما رواه الأنبياء **وداود** بالذات ، فقد قال لتلاميذه بعد قيامته أنه « لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء **والمزامير** » (لو ٢٤ : ٤٤) .

ولا يفوتنا أن ننوه أنه فى المنطقة التى رعى فيها داود أغنامه قد سبقته اليها جدته راعوث المؤابية حيث التقطت فيها سنابل الشعير فى حقل « الولى » بوعز الذى تزوجها فانجبت له عوبيد الذى ولد يسى البيتلحمى والد داود .

وستشهد هذه المنطقة أيضا بعد أجيال أحداثا على جانب كبير من الأهمية « لرعاة متبدين يحرسون حراسات الليل » .

وقد قام فى كنيستنا القبطية – منذ فجر ظهورها – هذا النوع من العشق للطبيعة باعتباره ينبوعا من ينابيع الالهـام والاحساس بقدرة الخالق فانفرد بعض القديسين فى المغـائر وشقوق الأرض مترنمين بقوة الله من خلال صنائعه ومخلوقاته . وقد تطورت هذه المغائر وصارت أديرة تقوم فى أماكن نائية فى الصحارى بعيدا عن زحمة الحياة وهمومها ضمت العديد من العباد والنساك الذين أفادوا العـالم بكتاباتهم وتأملاتهم الهـادئة النـابعة من صـفاء الطبيعة وطهارتها .

✠ ✠ ✠

الفصل الثانى

يداى صنعتا الأرغن وأصابعى ألفت المزمار من هو الذى يخبر سيدى هو الرب الذى يستجيب للذين يصرخون اليه .

بين تلال بيت لحم كانت هنـاك تسابيح ترتفع بين وقت وآخر يتردد صداها بين المرتفعات والمنخفضات كأنها أمواج بحر هادىء وكانت هذه التسابيح عادة مصحوبة بأنغام موسيقية أكسبتها عذوبة ورقة .

ولم تكن هذه الأنغام من فتى عابث لاه بل من شاب هام عشقا وحبا فى الله وفى صـنعة يديه ، وانى أتخيل هـذه التسابيح وقد اختزنتها الجبـال والوديان والرمال سرا ستبوح به بعـد ثمانية وعشرين جيلا لتلتحم مع أنغام الجوقات السمائية التى سـتتردد فى نفس المكان تلك الأنشودة السمائية « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السـلام وبالنـاس المسرة » معلنـة عهدا جـديدا بين الله والنـاس .

ولم يكن ذلك الشاب الا داود الصغير الذى أحب الله من كل قلبه ومن كل فكره ومن كل قدرته لذلك كان رفع السبح الى الله هو مشتهاه ومنتهى قصده فنراه يخلو الى نفسه بين تلال بيت لحم صانعا بعض الآلات الموسيقية لا بقصد اللهو وقطع الوقت انمـا بهـدف

وصول تلك التسابيح الى الله وكأنها رائحة بخور ذكية .

ولابد أن نشير الى الآلات الموسيقية التى كانت معروفة فى تلك الأيام :

١ ـ الدف والصنوج : ربما كان الدف والصنوج والمثلثات من أقدم الآلات الموسيقية التى استعملها الناس قديما وهى مصـنوعة من المعادن التى لهـا رنين ، وقد ورد فى سفر الخروج أن « مريم النبية أخت هرون أخذت الدف بيدها » (خر ١٥ : ٢٠) ـ كما نرى ابنة يفتاح الجلعادى قد خرجت لاستقبال أبيها « بدفوف ورقص » (قضى ١١ : ٣٤) .

٢ ـ الرباب : وهى عبارة عن أوتار مشدودة على صندوق خشبى صغير (أو أى معدن له رنين) على شكل نصف دائرة تقريبا وله عنق طويل تنتهى اليه الأوتار التى تبـدأ من فوق الصندوق ويستعمل بامرار قوس ذى أوتار على أوتار الصندوق الخشبى .

٣ ـ العود : ويشبه الرباب غير أن صندوقه الخشبى أكبر نوعا وعنقه أصغر من عنق الرباب وعليه أوتار مشدودة وتحدث صوتا باللعب عليها بالأصابع .

٤ ـ الناى : وهو عبارة عن آلة طويلة من الغـاب أو البـوص المفرغ (مثل الصفارة) ولهـا بعض الفتحات الطولية وتعمل بالنفخ فى طرفها العلوى مع تحريك الأصابع على الفتحات .

وقد ورد ذكر هذه الآلات فى سفر صموئيل الأول « ويكون عند مجيئك .. أنك تصادف زمرة من الأنبياء .. أمامهم رباب ودف وناى وعود » (١ صم ١٠ : ٥) .

كما ورد ذكرها فى سفر أشعياء « صار العود والرباب والدف والنـاى والخمر ولائمهم » (١ ش ٥ : ١٢) .

٥ ـ **الصور** : وهو آلة طولية من المعدن ذى الرنيين وتأخـذ شكل أنبوبة فتحتها العليا أضيق من السفلى وتحدث صوتا بالنفخ فى الفتحـة العليـا الضيقة .

٦ ـ **الأرغن** : هذه الآلة الموسيقية لم يرد ذكرها بهذه التسمية الا فى هذا المزمور فقط وبالرجوع الى الترجمات العبرية والقبطية اتضح أنها هى نفسها « المزمار » الذى هو عبارة عن عدد من قطع البوص أو الغـاب مفرغة ومثقبة ومختلفـة الأطوال ترص بجـوار بعضها وتحدث أصواتا بالنفخ فيها .

ونلحظ من بين كلمات المزمور « يداى صنعتا الأرغن وأصابعى ولفت المزمار » مدى فرح داود واعتزازه بهذه الآلات التى صنعتها يداه والتى استغلها أحسن استغلال فى رفع السبح لله ، فقد فتحت أمامه مجالا أوسع للحديث الدائم مع الله .

فى هذه الفترة من حياة داود المبكرة ، نلمس مدى تمسكه بالله ومـدى عشقه للحديث معه عن طـريق التسـابيح المنغمة على آلات موسيقية مختلفة ، هـذه التسابيح المنبثقة من قلب نقى يتربع فيـه الطهر والنقاء المنعكسين من الطبيعة وجمالها ، فنراه قد جعـل من الطبيعة ـ باعتبارها صنعة يدى الله ـ ملهما له فى رفع السبح للخالق الذى أمر فخلقت جميع الأشياء ، ولعلنا نلمس ذلك بوضوح فى قوله « سبحيه يا أيتها الشمس والقمر ، سبحيه يا جميع كواكب النور ،

سبحيه يا سـماء السموات ويا أيتها الميـاه التى فوق السموات » (مز ١٤٨ أو ١٤٩ : ٣ ـ ٥)

فى هذه الفترة ـ فترة رعى الأغنام ـ نرى داود قد اتقن اللعب على الآلات الموسيقية لتضفى جمـالا على صلواته وتسابيحه التى يرفعها لله ، ونراه للفرحة العـارمة التى تملكته يستعجل نتائج عمله هذا بقوله « من يخبر سيدى هو الرب » .

ان تنغيم التسابيح على الآلات الموسيقية تأصل فى نفس داود حتى صار أمرا لازما فى جميع هذه الحالات ، وجعله دستورا دينيا دونه فى أحد مزاميره حتى يتذوق الجميع لذة هذا النوع من التسابيح « سـبحوه بصوت الصور ، سـبحوه برباب وعود ، سـبحوه بدف ورقص ، سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوج التصويت ، سبحوه بصنوج الهتاف » . (مز ١٥٠)

وقد ذاعت شهرة داود كضارب على الآلات الموسيقية حتى وصلت الى أسماع بيت الملك شاول ـ وكان هذا بتدبير الهى تمهيدا لبـدء اعلان اسم داود بين شعب بنى اسرائيل ـ فبعد أن فارق روح الرب شاول كان يباغته روح ردىء فأمر شاول عبيده أن « يفتشـوا على رجـل يحسن الضرب بالعـود » فأجاب أحد رجاله « قد رأيت ابنـا ليسى البيتلحمى يحسن الضرب » (١ صم ١٦ : ١٤) ، فأحضروا داود فضرب على العود فارتاحت نفس شـاول وطابت وذهب عنـه الروح الردىء .

وقد مارس داود ـ بعد أن صار ملكا لاسرائيل ـ هذا النوع من التسبيح فى حفـل عام عنـدما رأى أن ينقـل تابوت العهد من بيت

عوبيد الى المكان الذى أعده له فى مدينته لذلك خرج جميع اسرائيل ليصعدوا تابوت عهد الرب » بهتاف وبصوت الأصوار والأبواق والصنوج ، يصوتون بالرباب والعيدان » وكلف الكهنة بالنفخ بالأبواق ، أما داود فكان فى المقدمة يرقص أمام تابوت الرب .
(١ أى ١٥)

وتمارس كنيستنا الأثوذكسية هذا النوع من التسبيح فى جميع طقوسها تقريبا لما فى ذلك من ايقاظ للحواس وتجميعها وتوحيدها وتوجيهها الى الالتحام مع الجوقات السمائية الواقفين أمام العرش بقيثاراتهم الذهبية يصرخون قائلين « قدوس قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل شىء الذى كان والكائن والذى يأتى » .
(رؤ ٤ ـــ ٨)

وينقلنا داود بالكلمات الأخيرة التى فى هذه الفقرة من المزمور (هو الرب الذى يستجيب للذين يصرخون اليه) الى يقينية استجابة الله لنا من خلال الصراخ اليه .

ولكن هل معنى ذلك أن الله يستجيب لصراخنا دون قيد أو شرط؟؟

وللاجابة على ذلك نقول :

أن السيد المسيح له المجد قد وضع مبدأ عاما بقوله « أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » .
(مر ١١ : ٢٤)

وقد وضع آباء الكنيسة وقديسوها بعض ايضاحات لهذا المبدأ :ـ

(١) أن الايمان شرط يلازم الصلاة : فصلاة دون ايمان بقوة فاعليتها غير مقبولة أمام الله لأنها لم تكن من المنبع الذى

يجب أن تنبثق منه وفى ذلك يقول يعقوب الرسول « ولكن ليطلب بايمان غير مرتاب البته ، لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح وتدفعه ، فلا يظن ذلك الانسان أنه ينال شيئا من عند الرب » .
(١ : ٦ ـ ٧)

(ب) أن تكون طلباتنا وفق مشيئة الله : وفى ذلك يقول يوحنا الرسول « وهذه هى الثقة التى لنا عنده أنه ان طلبنا حسب مشيئته يسمع لنا » .
(١ يو ٥ : ١٤)

(جـ) الا نستعجل النتائج : فقد يؤجل الله تحقيق نتائج صلواتنا لأن الوقت ـ فى علم الله ـ غير مناسب ، أو لأن تحقيقها سيعود بالضرر علينا ، أو يكون التأجيل من قبيل الاختبار لقوة ايماننا ، وقد أوضح السيد المسيح ذلك فى مثل قاضى الظلم (لو ١٨ : ١ ـ ٨) الذى لم يشأ أن ينصف الأرملة « الى زمان » ولكنه أنصفها أخيرا « أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم » . وفى ذلك يقول داود النبى « انتظر الرب واصبر له » .
(مز ٣٧ : ٧)

(د) قد لا تستجاب صلواتنا لحكمة علوية : فقد كان بولس الرسول يشكو من شوكة فى الجسد وقد صلى الى الله مرارا كى يرفعها عنه ولكن الله لم يستجب له ، وفى ذلك قال الرسول بولس « من جهة هذا تضرعت الى الرب ثلاث مرات أن تفارقنى فقال لى تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » .
(٢ كو ١٢ : ٨)

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن الصلاة فى غايتها النهائية ليست الا تمجيدا لله وتثبيتا لدوام الحديث معه .

الفصل الثالث

« هو ارسل ملاكه واخذنى من غنم ابى ومسحنى بدهن مسحته ، اخوتى حسان وهم اكبر منى والرب لم يسر بهم » .

يشير داود هنا الى حدث على جانب كبير من الأهمية فى تاريخ بنى اسرائيل ، ففى الوقت الذى كان فيه داود فتى صغيرا يرعى غنم أبيه كان شاول بن قيس ملكا على اسرائيل ، وقد تم تنصيب شاول بأمر من الله وبواسطة صموئيل النبى فى منطقة الجلجال .

ولكن شاول حاد عن وصايا الرب اذ تجرأ وأصعد محرقة (١ صم ١٣ : ١٢) ولم يكن مسموحا له بمثل هذا العمل ، كما خالف أوامر الله فى حربه مع عماليق لذلك رفضه الرب ، فحزن صموئيل النبى وناح من أجل ذلك أياما كثيرة .

عندئذ كلم الله صموئيل قائلا « حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على اسرائيل ، املأ قرنك دهنا وتعال أرسلك الى يسى **البيتلحمى** لأنى قد رأيت لى فى بنيه **ملكا** » .
(١ صم ١٦ : ١)

وعلى بعد بضع أميال جنوب أورشليم كانت مدينة بيت لحم التى ولد فيها داود والتى سيولد فيها بعد حوالى ألف سنة راعى الرعاة الأعظم الرب يسوع المسيح ، وعند وصول صموئيل اليها ارتجت

المدينة وتقدم شيوخها الى صموئيل قائلين « اسلام مجيئك فقال سلام . قد جئت لأذبح للرب » .
(١ صم ١٦ : ٤)

كان صموئيل يخشى بطش شاول بعد أن أعلنه برفض الرب له لذلك وبتوجيه من الله أتى الى بيت لحم ومعه عجلة من البقر حتى يظهر أمام الناس وأمام جواسيس شاول أنه انما أتى ليذبح للرب وتأكيدا لذلك أمر الشيوخ وكذلك يسى وبنيه أن يتقدسوا ويتقربوا لذبيحة الرب .

بعدئذ ابتدأ صموئيل عمله النبوى وطلب من يسى أن يكلف أولاده بالعبور أمامه واحدا تلو الآخر حسب أعمارهم فعبر أولا « الياب » وكان طويلا حسن المنظر فاستراح صموئيل اليه ولكن الله لم يرض عنه وقال لصموئيل « لا تنظر الى منظره وطول قامته لأنى قد **رفضته** ... أما الرب فانه ينظر الى القلب » (١ صم ١٦ : ٧) . ثم تبع « الياب » اخوته الستة الذين كانوا حاضرين وقت وصول صموئيل ولكن الرب لم يعلن قبوله لأى واحد منهم .

عندئذ ظهر القلق على نبى الله وسأل يسى « **هل كملوا الغلمان** » فأجابه يسى « بقى بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم » فأمر النبى أن يسرع باستدعائه .

مثل داود أمام صموئيل وكان « أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر » وفى الحال جاء صوت الله للنبى « قم امسحه لأن هذا هو » فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط اخوته عندئذ « حل روح **الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا** » (صم ١٦:١٣).

وقد تمت عملية مسح داود فى سرية تامة ودون أن يعلن صموئيل القصد الذى أعلنه له الرب (قد رأيت لى فى بنيه ملكا) ، واكتفى بأن مسح داود ثم قفل راجعا الى موضعه بالرامة أما داود فقد عاد لرعى اغنام ابيه .

والآن لابد لنا من وقفة مع داود قبل وبعد استدعائه للمثول بين يدى نبى الله . فلنذهب اذن سويا الى تلال بيت لحم لنرى داود جالسا فوق صخرة وقد خلى الى أرغنه يرفع سبحا شجيا نقيا الى الله أو تحت ظل شجرة وقد خلى الى مزماره يتغزل فى جمال الطبيعة وفى قدرة من انشأها وثبتها وفجأة حدث ما لم يكن يخطر بباله فقد استدعى على عجل للعودة الى بيت أبيه ، حيث وجد هناك رجل الله صموئيل ، وفى حفل مقدس رفعت ذبيحة للرب وانتهى الحفل بمسح داود – دون سائر الموجودين – بالدهن المقدس ومنذ تلك اللحظة « حل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا » (١ صم ١٦ : ١٣) .

وكان المسح بالدهن المقدس طقسا مرتبا من الله لمسح الملوك والأنبياء والأوانى والأماكن المقدسة « ثم أخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه وقدسه ، ونضح منه على المذبح سبع مرات ومسح المذبح وجميع آنيته ... وصب من دهن المسحة على راس هرون ومسحه لتقديسه » (لا ٨ : ١٠) .

وكان موسى أول من استعمل هذا الدهن لأغراض مقدسة وذلك بتوجيه وأمر من الله « وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة .. » (خر ٣٠ : ٢٦) – « وتمسح هرون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لى »

(خر ٣٠ : ٣٠) – وقد ظل هذا الدهن يمارس كطقس بأمر الهى طوال أجيال عديدة من تاريخ بنى اسرائيل « يكون هذا لى دهنا مقدسا للمسحة فى أجيالكم » (خر ٣٠ : ٢٢) .

ولم تكن أجزاء ومكونات زيت المسحة أمرا متروكا لموسى بل هو مرتب أيضا من الله « مرا قاطرا خمس مائه شاقل ، وقرفة عطرة نصف ذلك مئتين وخمسين ، وقصب الذريرة مئتين وخمسين، وسليخه خمس مئه بشاقل القدس ، ومن زيت الزيتون هينا ... دهنا مقدسا للمسحة يكون » (خر ٣٠ : ٢٢) .

ولنا الآن أن نتساءل : ماذا كان تأثير تلك الأحداث الأخيرة على داود بالنسبة لاخوته وبالنسبة لباقى الناس ؟؟

ان الجواب على هذا التساؤل واضح من الكتاب المقدس فبعد انتهاء ذلك الحفل المقدس عاد داود الى رعى اغنام أبيه مزاولا المهنة التى أحبها والتى هياتها له ظروف تدبيرية عليا فقد ذكر الكتاب أن اخوة داود الثلاثة الكبار قد انضموا لجيش شاول وكان على داود أن « يذهب ويرجع من عند شاول **يرعى غنم أبيه** فى بيت لحم » (١ صم ١٧ : ١٥) .

ومن هذا يتضح أن داود لم يمتلىء بروح الانتفاخ والتعالى على اخوته أو على الناس بل ظل على حاله من التواضع الذى عرف به فبعد أن أظهر استعداده لمبارزة جليات (وكان ذلك بعد مسحه بالدهن المقدس) تقدم لشاول الملك وقال له « لا يسقط قلب أحد بسببه ، **عبدك** يذهب ويحارب هذا الفلسطينى » (١ صم ١٧ :

٣٢) ، كما انه بعد انتصاره على جليات كشف عن شخصيته للملك شاول بقوله « داود بن **عبدك** يسى البيتلحمى » (١ صم ١٧ : ٥٨)٠

ولكن هل سبب مسح داود ـ دون سائر اخوته ـ سريان روح الحسد فيهم مثلما حدث مع اخوة يوسف ؟؟ أو مثلما حدث بين قايين وهابيل :

اذا رجعنا الى الكتاب فقد نشتم ذلك من بعض كلمات الياب الأخ الأكبر عندما كان داود بين المحاربين من جيش شاول يستعلم عما يكافأ به ذلك الذى يقتل ذلك الفلسطينى فقد قال الياب لداود « **انا علمت كبرياءك وشر قلبك** لأنك انما نزلت لكى ترى الحرب » (صم ١٧ : ٢٨) ـ ولكن من الجائز أن تمثل تلك الكلمات خوف الياب على أخيه الصغير داود بدليل أن اخوته قد هبوا لنجدته عندما كان مطاردا من شاول الملك ومختبئا فى مغارة عدلام « فلما سمع أخوته وجميع بيت أبيه نزلوا اليه الى هناك » (١ صم ٢٢ : ١)٠

ولعلنا نلحظ أن داود قد استعمل فى هذه الفقرة من المزمور كلمة « ملاك » عندما قال « هو ارسل ملاكه وأخذنى » ويقصد بها صموئيل النبى ٠

وقد وردت كلمة « ملاك » فى الكتاب المقدس بعدة معانى :ـ

١ ـ قد يقصد بها الرسول العادى : فقد خاطب الله بنى اسرائيل بعد خروجهم من عبودية مصر وقبلوصولهم أرض الموعد قائلا « ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك فى الطريق » (خر ٢٣ : ٢٠) ٠

٢ـ وقد يقصد بها أحد الأنبياء : **فقد كانت هناك** نبوة عن يوحنا المعمدان الذى يأتى قبل السيد المسيح « هأنذا أرسل ملاكى يهيء الطريق أمامى » (ملا ٣ : ١) ٠

٣ ـ وقد يقصد بها أسقف أو كاهن وقد ورد ذلك فى سفر الرؤيا عندما يقول « اكتب الى ملاك كنيسة ٠٠٠ (رؤ ٢ : ١) ٠

٤ ـ وقد يقصد بها الله نفسه أو السيد المسيح : فقد ورد فى سفر ملاخى قوله « ويأتى بغتة الى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرون به » (ملا ٣ : ١) ٠

ويتضح مما سبق أن داود قد قصد بكلمة « ملاك » المعنى الثانى أى نبى الله صموئيل ٠

ونلاحظ فى هذه الفقرة أيضا أن داود قد أورد وصفا دقيقا لاخوته فقد وصفهم بأنهم **أكبر منه** ، وأنهم **حسان** ، وأن الرب لم **يسر بهم** ، ولايظن القارىء أن داود قد تجنى على اخوته بهذا الوصف الأخير انما هو قد دون فقط ما قاله الله لصموئيل ، **فقد كاد النبى العظيم أن يقع فى الخطأ** عندما مر أمامه الياب الابن الأكبر اذ قال « أن أمام الرب مسيحه » فكان جواب الله « لا تنظر الى منظره وطول قامته لأنى **قد رفضته** » وهكذا الحال بالنسبة لباقى اخوته (١ صم ١٦ : ٧) ، وبذلك يكون ما قد دونه داود فى مزموره ليس تجنيا على اخوته انما هو تثبيت لحقائق أقرها الله صراحة اذ أتى الرفض لاخوة داود من الرب وليس من صموئيل أو غيره ٠

وفى هذا المقام أورد السفر مقارنة شيقة بين نظرتين : نظرة الله الى الانسان ، ونظرة الانسان الى الانسان « الانسان ينظر

الى العينين(الوجه) وأما الرب فانه ينظر الى القلب » (١ صم ١٦: ٧) وقد قال السيد المسيح لليهود « لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكما عادلا » (يو ٧ : ٢٤) ، كما كتب بولس الرسـول بهذا المعنى لأهل كورنثوس « ليكون لكم الجواب على الذين يفتخرون **بالوجه لا بالقلب** » (٢ كو ٥ : ١٢) .

✠ ✠ ✠

الفصل الـرابع

٦ – خرجت للقـاء الفلسطينى (غريب القبيلـة)

٧ – ولكن أنا سللت سـيفه الذى كان بيـده وقطعت رأسـه .

٨ – ونزعت العـار عن اسرائيل هليلويا .

ما أعجب هذا اللقاء الذى تم بين قوتين غير متكافئتين : بين جليـات المكتسى بالحـديد والنحاس من هامة الرأس الى أخمص القدمين ، وبين فتى صغير مكشـوف الجسـد لا يكسوه سوى جلباب رعاة **الأغنام** .

هذا اللقاء كان غير متكافىء **ظاهريا** فلم يكن هناك من يشـك فى أن النصر سيكون حليف جليات فهو رجل حرب منذ صباه علاوة على أدوات الحرب التى كان يلبسـها ويمسكها بيديه بخلاف غريمه **الذى كان أعزلا من كل هذه المعـدات** .

هذا اللقاء غيرالمتكافىء ظاهريا،كان أيضا غير متكافىء داخليا اذ كان مع داود أسـلحة لا يمكن حصرها أو تقييم قوتها بينما كان **غريمه أعزلا تماما من هذا النوع من السلاح** .

اذن فاللقاء كان بين انسـان متكل على قوة ذراعه وبين انسان متكل على ذراع الرب (يمين الرب صنعت قوة) أو بعبـارة أخرى هو لقاء بين الله والشيطان ، فهو فى واقع الأمر نبوة واشـارة الى

ذلك اللقاء العظيم الذى سيتم بين ابن داود (السيد المسيح) وبين ابليس والذى سينتصر فيه ابن داود (ابن الانسان) على الشيطان فى جولتين ، الأولى فى البرية (اذهب يا شيطان) والثانية على الصليب (قد اكمل) .

ولكى نعطى للقارىء صورة مجسمة لطرفى المبارزة ننقل مادونه السفر وصفا لكل منهما فقد قيل عن جليات « طوله ست أذرع وشبر وعلى رأسه خوذة من نحاس وكان لابسا درعا خرشفيا ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس ، وجرموقا نحاس على رجليه ومزراق نحاس بين كتفيه وقناة رمحه مثل نول النساجين وسنان رمحه ست مائة شاقل حديد » (١ صم ١٧ : ٤) .

أما داود فقد وصفه الكتاب أنه « أخذ عصاه بيده وانتخب له خمسة حجارة ملس من الوادى وجعلها فى كنف الرعاة الذى له فى الجراب ومقلاعه بيده وتقدم نحو الفلسطينى » (١ صم ١٧ : ٤٠) .

هذان هما الرجلان اللذان ستنشب بينهما المبارزة ، أحدهما قد كست جسده ورأسه ورجليه أوزان مختلفة من النحاس والحديد والآخر لا يحمل أى شىء يمكن أن يطلق عليه لفظ سلاح فهو أعزل تماما من كل ما يبارز به أو حتى ما يدافع به عن نفسه مع الأخذ فى الاعتبار فارق السن بين الاثنين .

وكأنى بداود وقد اعتاد المعارك غير المتكافئة ، فقد سبق أن نزل الى معركة هى فى نظرى أقسى من هذه المعركة الأخيرة ، فقد كان عليه فى الأولى أن يقضى على حيوانين مفترسين (أسد ودب) ، وأن يتمكن ببراعة أن ينقذ شاة من فكى الأسد . وهذا أمر يبدو متعذرا الا لمن كانت له مكنات وقدرات غير عادية .

ها هى المعركة الثانية توشك أن تبدأ ، وكان لها بعض المقدمات، فقد اصطف الفلسطينيون على جبل يشرف على وادى البطم واصطف الاسرائيليون على جبل آخر يشرف على نفس الوادى ، ثم خرج من صفوف الفلسطينين رجل مثل الوحش ونزل الى الوادى حيث زار موجها كلامه الى الاسرائيليين « أنتم عبيد شاول اختاروا لأنفسكم رجلا ولينزل الى » - ثم يكمل قوله واضعا شروط المبارزة « ان قدر أحد أن يحاربنى ويقتلنى نصير لكم عبيدا ، وان قدرت أنا عليه وقتلته تصيرون أنتم لنا عبيدا وتخدموننا » (١ صم ١٧ : ٩) .

ويعطى السفر بعد ذلك وصفا دقيقا للحالة التى صار عليها بنو اسرائيل فيقول « ولما سمع شاول وجميع اسرائيل كلام الفلسطينى هذا ارتاعوا وخافوا جدا » .

وهنا انجلى الموقف وبرزت معالمه واضحة اذ نرى شعبا بأسره بما فى ذلك الجيش والملك قد استولى عليهم جميعا الخوف والفزع، وها هى التعبيرات تنصب عليهم نهارا وليلا كأنها ألسنة من نار تحرق ولا ترحم .

فى هذه اللحظات الحرجة يخرج من بين الصفوف شاب « حدث صغير » .

كان موضع استخفاف من رجال الجيش - ويتقدم الى شاول الملك وتدور بينهما المحادثة التالية :

داود « لا يسقط قلب أحد بسببه (بسبب جليات) ، عبدك يذهب ويحارب هذا الفلسطينى » .

شاول « لا تستطيع أن تذهب الى هذا الفلسطينى لتحاربه لأنك غلام هو رجل حرب منذ صباه » .

وهنا يتقدم داود الى شاول بمؤهله التدبيرى العالى : —

« كان عبدك يرعى لأبيه غنما فجاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع فخرجت وراءه وقتلته وأنقذتها من فيه ولما قام على أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته ، قتل عبدك الأسد والدب جميعا ، **وهذا الفلسطينى الأغلف يكون كواحد منهما** » (١ صم ١٧ : ٣٤) ٠

بعد هذه التزكية التى قدمها داود عن نفسه وافق شاول أن يكون ذلك الفتى الصغير ممثلا لشعب بنى اسرائيل باجمعه

وكانى بداود وقد عاش فى كلمات الله قديما لبنى اسرائيل « اذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلا ومراكب قوما أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب الهك الذى أصعدك من أرض مصر » (تث ٢٠ : ١) ٠

وتمر فى ميدان القتال لحظات حاسمة حرجة حبس بنو اسرائيل فيها أنفاسهم عندما نزل الفتى الصغير الأعزل الى أرض المعركة ، وعندئذ دار الحديث التالى بين المتحاربين : —

جليات : « ألعلى أنا كلب حتى أنك تأتى الى بعصى ، (ولعن الفلسطينى داود بآلهته) ، تعال الى فأعطى لحمك لطيور السماء ووحوش البرية » ٠

داود « أنت تأتى الى بسيف وبرمح وبترس وأنا آتى اليك باسم رب الجنود ٠٠٠ هذا اليوم ٠٠ يحبسك الرب فى يدى فأقتلك وأقطع رأسك وأعطى جثث جيش الفلسطينيين هذا اليوم لطيور السماء

وحيوانات الأرض ٠٠ وتعلم هذه الجماعة كلها **أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب** » (١ صم ١٧ : ٤٥) ٠

وأعلن حاملو الأبواق بدء المعركة فارتجفت قلوب بنى اسرائيل وذابت فى دواخلهم ، وأخذ الفلسطينى يتقدم بثقة للقاء داود ، أما داود فقد أسرع يجرى نحوه وفى سرعة خاطفة مد يده الى الكنف (الجراب) وأخرج حجرا ووضعه فى المقلاع ورمى به جليات فى جبهته فاهتز ذلك الوحش وارتعش وسقط على الأرض فأسرع داود وأخذ سيفه (سيف جليات) وقطع — رأسه ورفعه على رأس السيف معلنا نهاية المعركة التى لم تستغرق أكثر من دقائق معدودات ٠

لقد كانت المفاجأة فوق مستوى التصديق ، فقد كان جسد جليات مغطى بكميات كبيرة من الحديد والنحاس ولم يكن مكشوفا منه سوى جبهته فكانى بالملائكة وقد حملوا حجر المقلاع وصوبوه بدقة وقوة نحو ذلك الجزء المكشوف منه فأصاب منه مقتلا ٠ فهربوا بينما ملأت الثقة والشجاعة قلوب الاسرائيليين الجبناء فاندفعوا وراء أعدائهم ونهبوا محلتهم وقتلوا منهم أعدادا وفيرة وكانت النصرة لبنى اسرائيل ٠

كل هذه الأحداث الخطيرة التى تمت والتى غيرت مجرى تاريخ بنى اسرائيل قامت على اكتاف « حدث » صغير هو داود بن يسى البيتلحمى ، الذى لم يكن سوى راع لأغنام أبيه ، هذا الراعى الذى استطاع — بقوة الله — أن يمسح العار الذى لطخ شعبا بأسره

وعندئذ تحققت الكلمات التى سبق ان قالها داود لجليات « ليس بسيف ولا برمح ـ يخلص الله » .

وبانتهاء هذه الملحمة يكون داود قد وضع أمام العالم أسسا للنصرة الحقيقية على الشر وأعوانه ، هذه النصرة التى تقوم على الاتكال الفعلى ـ لا الظاهرى أو التمثيلى ـ على قدرة الله . فنزول داود الى أرض المعركة وليس معه الا مقلاعا من الحبال ليقابل وحشا آدميا متدربا على فنون القتال منذ صباه لدليل أكيد على مدى اتكال داود على يمين الرب وذراع الرب ، وقد رتب داود فى أحد مزاميره مقارنة قوية بين القوتين فقال :

« هؤلاء بالمركبات هؤلاء بالخيول ، أما نحن فباسم الهنا ننمو هم سقطوا وعثروا ، أما نحن فقمنا واستقمنا » (مز ١٩ او ٢٠ : ٦) .

ـ وبهذا يكون داود بمزموره هذا قد جسم لنا الرمز الذى يشير الى النصرة على الشيطان ، هذه النصرة التى ستكمل حلقاتها بعد ثمانية وعشرين جيلا بواسطة ابنه (ابن داود) والتى أشار اليها السيد المسيح بقوله لرسله الأطهار « رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء » (لو ١٠ : ١٨) .

ـ لذلك رتبت الكنيسة تلاوة مزمور هذه الملحمة فى فجر السبت الكبير سبت الفرح ثم تكمل شرحه فى فجر الأحد بهذه الأنشودة التى **لداود أيضا** « ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد . من هو ملك المجد . الرب العزيز القدير . **الرب القوى فى الحروب** (مز ٢٣ أو ٢٤ : ٧) .

ولالهنا كل مجد الى الأبد آمين

رقم الايداع ٨٢/٣٢٧٨

دار يوسف كمال للطباعة
تليفون : ٨٢٣٥٧٨ القاهرة